العناصر المكونة للرواية، فعلى العكس من ذلك، فالرواية في مجموعها، هي بُنْيَنَةٌ كَكُلٌّ فريدٍ، وعُضويٌّ خاضع لقوانينه النوعية الخاصة، وكل العناصر الروائية الأخرى بما فيها تركيبها، أسلوبها، هي أيضاً مُبَنْيَنَةٌ. ولكن هذا التَّبَنْيُن الروائي قد تمَّ، إضافة إلى ذلك، في علاقة حميمة مع التحولات الأخرى التي تجري في مجموع الأدب»[147].

لقد تبين لنا أن «باختين» قد جعل اللسانيات مدخلاً ونموذجاً لتأسيس سيميوطيقا (Séniotique) عامَّةٍ يمكن اعتبارها أيضاً كما يقول «ميشال أكوتورييه» بمثابة علم عام للإديولوجيات[148]. وأن هذا سيكون في نظره أيضاً سوسيولوجيا لأن الدليل، بالنسبة له كما تَبَيَّنَ سابقاً، ليس نتاجاً للوعي الفردي، ولكنه يأخذ مدلوله في الحقل الاجتماعي. وهنا يمكن أن نلاحظ التشابُه بين فكر «باختين»، والمبادىء التي وضعتها البنيوية التكوينية على يد «غولدمان»، خاصة عندما تعتبر هذه أن رؤية العالم ليست من إبداع فردي، ولكن الجماعة هي التي تُكَوِّنُ، بسبب العلاقات الداخلية الموجودة فيها، وبسبب صراعها مع الجماعات الأخرى، أو مع القوى الطبيعية، تصوراً ما، يتبنَّاهُ أفرادها، ومنهم المبدعون. غير أن الفرق الأساسي بين سوسيولوجيا النّص عند «باختين»، والبنيوية التكوينية قائم في خُلُوِّ الجانب النظري لهذه الأخيرة من مدخل لساني يُسَهِّلُ مهمة التعامل مع النُّصوص الروائية باعتبارها مجموعة أنساق من الدلائل، أي مجموعة أنساق إديولوجية.

وسنلاحظ أيضاً أن منهج «باختين» قريبٌ من البنائية المعاصرة، لأنه يتخذ من النموذج اللساني معياره الأول لدراسة الفن الروائي. وإنْ كنا نراه يعيد النظر في هذا النموذج نفسه، فهو مثلاً لا يعتبر اللغة كدلائل فارغة من أي محتوى إديولوجي بل هي الوجه الملموس، والمُجَسَّدُ للصراعات الإديولوجية في الواقع. وعلى هذا الأساس يُقَدِّمُ «باختين» انتقاده بالذات للسانيات «دوسوسور»[149]. أما وجه اختلاف منهج «باختين» عن البنائية المعاصرة، فيتمثل في عدم فصله الرواية، باعتبارها إديولوجيا، عن البنية التحتية الاجتماعية والاقتصادية، فهو في هذا الجانب على الخصوص يقتربُ من سوسيولوجيا الرواية ذات الاتجاه الجدلي.

وإذا كان «باختين» ينتقدُ النزعة المثالية، والسيكولوجية اللتين اَعْتَبَرَتَا الإديولوجيا من

---

(147) Ibid., P. 37.

(148) انظر مقدمة «ميشال أكوتورييه لكتاب باختين:

Esthétique et théorie du roman. P. 12.

(149) انظر الانتقادات التي وجهها باختين لدوسوسور (De saussure) في كتابه:

Le marxisme et la philosophie du langage. P. 92 - 93.